إنها قصة طويلة، لكن يكفي أن نقول إنه في النهاية قد تزوجت مدبرة المنزل من صاحب المنزل، وتغيّرت الأمور تمامًا؛ لأنها أحبته. إنها الآن لن تكتفي بعمل ما يطلبه؛ بل تحاول تنفيذ أتفه رغباته، لذلك قام صاحب المنزل بتمزيق قائمة التعليمات التي على حائط المطبخ. ولكن المرأة – لمعرفتها أن هذه الأمور ترضيه – استمرت في عملها، والأكثر من ذلك – أنها عملتها بكل حماس وسرور. لقد رغبت في أن تعمل هذه الأمور؛ لأنها كانت تحب زوجها كثيرا. لقد كان هناك اختلاف كبير بين اختبار الماضي الذي مرت به واختبار الحاضر الذي تعيشه.

هذا هو بالضبط الفرق بين حالتك قبل الإيمان وبعده، كما تشرحها الأعداد 4– 6. قبل أن تتجدد كنت تستاء من وصايا الله العشر!! والآن – بعدما تجددت – تطلب أن تعملها وتجد سرورا في ذلك. هذا لأنك قد ارتبطت بالفعل بذاك الذي قد أعطى الناموس، ولأنك تخدمه، لا بعتق الحرف، بل بجدة الروح.

مدبرة المنزل

ونحن نقرأ الأعداد 3 – 13، دعونا نتحدث قليلاً عن الوقت الذي كانت فيه المرأة مدبرة للمنزل؛ لكي نطبّق هذا على اختبارك مع ناموس الله قبل وبعد التجديد. لقد ظلت مدبرة المنزل وقتاً قليلاً قبل أن تظهر التعليمات المكتوبة، وبمجرد ظهور هذه التعليمات، أصبحت تدرك جيدًا أنها لن تستطيع أن تفي بمتطلبات هذه الوظيفة. هذا هو التأثير الأول. لكن يوجد تأثير آخر. لم يحدث أبدًا أنها ألقت بقايا الشاي في البالوعة. إنها لم تسمع عن أحد يفعل هكذا. لقد كان تأثير التعليمات عليها أن تفعل هذا الشيء الذي لم تفعله من قبل، لأنه أصبح هناك قانون ضد هذا العمل.

مَنْ المخطئ في هذا؟ هل العيب في التعليمات؟ كلا – على الإطلاق. العيب هو في المرأة، مع أنها لم تكن لتفعل ذلك لو لم تكن هناك تعليمات. إذًا االتعليمات كان لها تأثيران: الأول إنها أظهرت للمرأة أنها أضعف مما يجب أن تكون عليه، لذلك فهي فاشلة. كما أن التعليمات دفعتها لتفعل أمورا لم تكن تفكر فيها من قبل. لقد علِمت أنها كانت مخدوعة أكثر مما كانت تتصور.

ويعترف بولس الرسول أن هذا كان اختباره في الماضي فيما يتعلق بناموس الله. عندما احتك بناموس الله، حدث له أمران: الأمر الأول أنه أدرك أنه عاجز، إذا ما قيس بمقاييس الله. لا يوجد عيب ما في الناموس، لكن الاحتكاك بالناموس، جعله يرى أن هناك خطأ ما في داخله. "لم أعرف الخطية إلا بالناموس". إنه لم يكن يعرف أنه من الخطأ أن يشتهي حتى ذلك الحين. كذلك لم يكن يدرك قبلا أنه مذنب بسبب ذلك. لقد أظهر له ناموس الله أنه خاطئ.

ويعترف بولس الرسول أيضا بأن الوصية كانت تُثيره ليفعل نفس الأمور التي ينهى عنها الناموس. لقد اكتشف أنه ارتكب خطية الشهوة، بل إن الوصية بأن لا يشتهي دفعته لمزيد من الشهوة. لقد وصل إلى أبعاد من الشهوة، لم يكن يعرفها من قبل. عندما كان غير مدرك للوصايا كان يعتقد أنه عائشا بحسب ما يُرضي الله، وأنه في سبيل الوصول إلى المستوى المطلوب، لكنه لما احتك بالوصية؛ عاشت الخطية الساكنة فيه. لقد كسر الوصايا فمات (عدد9).

إذاً – لماذا أعطى الله الوصايا؟ لقد أعطى الرجل التعليمات لمدبرة منزله، لكي تعرف ما هو مطلوب منها، وما الذي يرضيه. لقد أعطى الله الوصايا العشر لكي تعرف إرادته وتفعلها؛ فتحيا. لكن ولأن الناموس يحرك الخطية، فإن التأثير الحقيقي كان هو أنك مُت. الوصية التي وُضعت للحياة؛ وُجدت أنها تقود للموت. لا تُلق باللوم

على الوصايا، لأنها مقدسة وعادلة وصالحة (عدد12). وجِّه اللوم إلى طبيعتك الخاطئة الفاسدة: "لأن الخطية وهي متخذة فرصة بالوصية خدعتني بها وقتلتني".

إنك الآن مكروه من السيد، ومحكوم عليك بالموت، ولم يكن من الممكن أن تصل لهذه الحال، لو لم تُوجد الوصايا، ولم يكن ممكنا أن تتحرك الخطية بدون الوصايا. إذًا هل تذهب إلى رب البيت وتقول له: إنه خطأٌ، فلو لم تكن قد أعطيتي هذه التعليمات لم يكن من الممكن أن أكسرها؟ حاشا، الوصايا مقدسة وعادلة وصالحة؛ فلا لوم عليها، لكن طبيعتك الفاسدة هي التي تخدعك بأن تُمسك بالشيء المقدس وبه تجعل الموت يعمل فيك. هذا يُظهر مدى شر تلك الطبيعة الفاسدة.

كل ذلك في صيغة الماضي. إنها الخبرة السابقة لمدبرة المنزل في المثال السابق، وهي في الحقيقة خبرة المؤمن الماضية أيضا؛ فقبل أن تتجدد كان الناموس يملأك استياءً، إذ يُظهر لك إثمك، ويحركك لتخطئ أكثر. لا يوجد شيء خطأ في الوصايا العشر. إن الخطأ يكمن في طبيعة البشر الفاسدة.

الزوجة

الآن دعنا نتحدث أكثر عن خبرة تلك المرأة بصفتها زوجة. لقد *كانت* مدبرة منزل – والأعداد 7 – 13 هي في صيغة الماضي – وهي *الآن* زوجة، لذلك الأعداد 14- 25 هي في صيغة الحاضر. وسيبدأ بولس الرسول الحديث عن الخبرة *الحاضرة* للمؤمن.

إن مدبرة المنزل سابقًا، والتي أصبحت الآن زوجة، ليس لديها رغبة أعظم من أن تسعد ذاك الذي أصبح زوجها الآن. هذا هو المبدأ الثابت والدائم لحياتها. إنها في أعماقها تبتهج بتعليمات (بناموس) زوجها، ومع ذلك فهناك شيء ما في داخلها، لا يدعها تكون كما تريد في أعماقها أن تكون. إن لسان حالها: أنا لا أعرف ماذا جرى

لي؟ أنا أعرف ما الذي يريده زوجي، لكني لا أفعله والذي لا يريدني أن أفعله هو الذي أفعله. كلما أحاول أن أرضيه، أفعل الأسوأ. لقد ازداد إدراكي بالفشل كزوجة. إني لا أريد أن أكون هكذا، لكن هذا هو حالي. إني واثقة أني لست أنا الذي يفعل ذلك؛ فهذا لا يناسبني، فالذي يسكن في قلبي شيء والذي أفعله شيء آخر. آه... كيف أتخلص من هذا التناقض؟

عند تلك النقطة يبطل المثال التوضيحي، لأن بولس الرسول يتطلع إلى الوقت الذي يكون فيه مختلفا – إلى وقت القيامة، حيث لا يكون بعد موجودا في جسد هذا الموت. وهذا هو ملخص تعليم الأصحاح الثامن. الزوجة المسكينة في المثال التوضيحي لم يكن يمكنها التطلع إلى وقت كهذا.

إن المؤمن ثابت تماما في أعماقه، إذ أن مبدأ واحدًا يتحكم في عواطفه ورغباته، ذلك أنه يريد أن يُرضي الله، وأن يحفظ ناموسه؛ لكنه يجد أن أعماله لا تتفق مع رغباته. إنه يجد نفسه يعمل الأمور التي هي ضد طبيعة المؤمن. ويلخص بولس الرسول قائلا: "إذًا بذهني أنا نفسي أخدم ناموس الله؛ ولكن بالجسد ناموس الخطية".
دعونا نعيد صياغة الأعداد 14 – 25، لنشرح بوضوح أكثر ما يعنيه بولس الرسول فيها. إنه يقول:
"كل ما سأكتبه إليكم، ليس هو ما ينطبق عليَّ فحسب؛ بل ينطبق على كل المؤمنين. عندما قلت "أنا" سأكتب، كنت في الواقع أقصد "نحن". الآن أنا أعلم أن الناموس روحي وصالح، لكن كم أنا عاجز وناقص في موازين الله! ما أدنى حياتي، إنها حياة جسدانية. أنا لم أسلم نفسي للعبودية لكني صرت أسيرا دون إرادتي. وأنا في هذا الوضع المرعب، لا أستطيع أن أكون وفق ما أريد. إنني أمثِّل تناقضا واضحا. إنني أقرر أن أعمل الصلاح، ولكني لا أعمل شيئًا".

"هذا التناقض هو بين ما أنا عليه داخليا، وما أنا عليه خارجيا. إنني لست من الداخل شخصين. إن المبدأ الثابت والدائم فيَّ هو أنني أريد أن أفعل الصالح. أريد السير في طريق الله. ذلك هو الطريق الوحيد الذي أعرف أنه صالح."

"أما أعمال الخطية هذه، فهي ضد طبيعتي الحقيقية. هذا ليس أنا الحقيقي. إن حقيقة أني لا زلت أملك طبيعة آدم تحبطني تمامًا. أنا أعرف ما أريد أن أكون عليه، وليس هناك صعوبة في ذلك، لكن المشكلة تكمن في كيفية التنفيذ."

"في ذاتي الحقيقية يوجد غرض موحَّد، إنني محبط تمامًا بسبب بقاء الخطية في تكويني. إني أقرر أن أعمل ما يرضي الله؛ لكن هذه الرغبة يُحبطها الشر الكامن فيَّ. في أعماقي أنا أحب ناموس الله حبًّا شديدا، وأجد سرورا كبيرا في دراسته والتأمل فيه، لكن في كياني الذي ورثته من آدم، يعمل فيَّ ناموس آخر، وينتهي الأمر بأن أعمل عكس ما هو في ذهني تماما. وليس هناك أمل في أن ينتهي هذا الحال، طالما أنني لازلت موجودًا في هذا الجسد. إنه جسد الموت. لكن في النهاية سوف أكون حرا، ولذلك أشكر الله بيسوع المسيح ربنا. أما في الوقت الحاضر فإن قلبي مهيأ لعمل ناموس الله؛ على الرغم من أن أعمالي الخارجية، لا تتلاءم مع ذلك."

المسيحية الحقيقية

عندما نصل إلى هذه النقطة من الرسالة، نكون قد حصلنا على صورة واضحة جدا، لما يجب أن يكون عليه المؤمن. إنه ليس خاضعا للخطية (ص6)، ولا هو بدون خطية (ص7). إنه لم يعد يعرف شيئا عن سيادة الخطية (ص6)، ومع ذلك هو معذب من وجودها (ص7). إنه يختلف عن غير المتجدد؛ فغير المتجدد هو في سلام مع الخطية، ولكن المؤمن في حرب معها. إن غير المتجددين يعيشون في الخطية، ولكن المؤمن ليس كذلك (ص6) مع أن الخطية لا زالت حية فيه (ص7). إنه يتميز برغبات

مقدسة؛ لكنه محبط بسبب الخطية التي في أعضائه. هذا هو حاضره، واختباره المستمر، إلى أن يتحرر من طبيعة آدم (1كو15: 47 – 49). وحتى ذلك الحين فإنه يصيح: "ويحي أنا الإنسان الشقي"، وكلما ازداد في القداسة كلما ازداد صراخا.

إن المؤمن الحقيقي يشبه إنسانًا يسير ليلاً في طريق ضيق مليء بالطين والوحل. إنه لا يُدرك مدى القذارة التي هو فيها حتى يقترب من ضوء الشارع. وكلما ازداد اقترابًا من النور كلما ازداد إدراكه لقذارته، وكلما صعُب عليه أن يتخلص منها. كلما اقترب المؤمن من الله، كلما ازداد إدراكه بأنه خاطئ ونجس، وكلما ازداد اهتمامه بأن يعمل شيئا بشأن هذه الخطية المهينة له. إنه يتوق بشدة إلى الطهارة، وهنا تصبح صرخته الدائمة: "ويحي أنا الإنسان الشقي". إنها صرخة الإنسان الذي يتقدم في طريق القداسة، أما الإنسان غير المقدس، فهو في سلام مع الخطية، ولا تشكل مشكلة له.

إن ما عرضته أمامك هو المفهوم التاريخي لهذا النص. لقد انتشر حديثا تعليم آخر، يؤكد على أن الأصحاح السابع من رسالة رومية ليس هو الاختبار العادي للمؤمن؛ لذا فهو يدعونا إلى الخروج من الهزيمة والشقاء واختبار الدرجة الثانية في الأصحاح السابع والدخول إلى الانتصار في الأصحاح الثامن. إن الأصحاح السابع يشبَّه بالبرية، والأصحاح الثامن بكنعان، ويقول: دعونا نعبر الأردن ولنترك خلفنا تيه الأصحاح السابع وصراعه، ولندخل إلى الإختبار الأسمى في الأصحاح الثامن.

هذا التعليم قد يبدو جذابًا، لكنه لا يقدم شرحًا أمينًا لهذا النص. إننا نعرف عن الحياة الروحية لبولس الرسول، أكثر مما نعرف عن أي مؤمن آخر في العهد الجديد، كما أننا متأكدون أن بولس الرسول لم يكن له اختبار من الدرجة الثانية بأي شكل من الأشكال. فمن اللحظة التي سقطت فيها القشور من عينيه، امتلأ من الروح القدس. بالإضافة إلى هذا، لو أن بولس الرسول يكتب عن اختبار ماض، فلماذا لم يستخدم

صيغة الماضي في الكتابة، (مثلما فعل في بداية الأصحاح السابع)؟ إن الأعداد 14 – 25 كلها في صيغة المضارع، وهذا معناه – وبكل تأكيد – أن بولس الرسول يكتب عن حاضره، وعن اختباره المستمر كمؤمن، وهذا تؤكده مقارنة هذه الأعداد بما جاء في غل5: 16 – 26.

إن رو7: 14 – 25 هو الاختبار الطبيعي للحياة المسيحية. إنها حياة الصراع المكثَّف ضد الخطية، دون هوادة. إنها حياة الفزع الرهيب بسبب عدم الكمال، وليست حياة ادِّعاء الانتصار. إنها حياة التشوُّق الجاد إلى المجد، وليست حياة الاكتفاء بما وصلت إليه. أما أولئك الذين لهم اختبار يومي مختلف؛ فلا يمكن أن يكون لهم الضمان بأنهم مؤمنون على الإطلاق.